

الفرقة الناجية

أما بعد، فقد اعتقاد العرفة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة: أهل السنة والجماعةُ الشَّرعُ * فوله: * (أما بعد،) هي كلمة يؤتى بها للاعتناء من أسلوب أو أسلوب آخر، ويؤتى بها في الغالب بعد مقدمة الخطب وحبوها. * فوله: * (فهذا) إشارة إلى الشيء الذي تصوره في ذهنه، وعزم على إلقائه، يعني: على فاصي واسط وعلى علية، ثم على كائنه. * فوله: * (اعتقاد) هو ما يعقد عليه الشخص يدين به، والاعتقاد في اللغة مشتق من العقد الذي هو إتيان الشيء وإحكامه وتقويته، أما في الاصطلاح: فهو التصميم الحازم الذي ينشأ عن التصديق الحازم الذي لا يقبل الشك. * فوله: * (الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة أهل السنة والجماعة)، وصفهم بثلاث صفات هي: الأولى: أنهم ناجون، والثانية: أنهم مصورون إلى قيام الساعة، والثالثة: أهل السنة والجماعة.
الفرقة: تكسر الفاء يعني: الطائفة من الناس، وذلك إشارة إلى فلتهم بين الحازم، وإن الذين حولهم متفرقون عن ذلك. فإن أهل السنة في كل زمان هم الأقلون، ولذلك شكَّوا فرقة، وقد أقر النبي -صلى الله عليه وسلم- بذلك في الحديث المشهور: { لا يزال طائفة من أمتي ظاهرين، على الحق، لا يضرهم من حولهم حتى يأتي أمر الله تعالى وهم كذلك } أخرجه مسلم برقم (1920) في الأمانة، باب: قوله -صلى الله عليه وسلم-: "لا يزال طائفة من أمتي ظاهرين،" عن نوحان رضي الله عنه.
الناجية: أي: من الفرق الهالكة الذين تكرم النبي -صلى الله عليه وسلم- في فوله: * ويستغرق أصله على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، فالإدب: من هي يا رسول الله! قال: الجماعةُ { وفي رواية: { من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي } وأحدثت له روايات أخرى، وهو حديث حسن صحيح، وسُميت ناجية؛ لأنها نتجت من الشُّرك والبدع والمعاصي وفي الحديث: وهو في الآخرة من العذاب المنصورة إلى قيام الساعة، أي: المهيودة على من خالفها بالحقه والبيان إلى أن تقوم الساعة، أي: ساعة موته، وسُميت هذه الطائفة منصورة لأنها لا يضرهم من حولهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله تعالى كما أقر بذلك النبي -صلى الله عليه وسلم- .
أهل السنة: السنة لغة: الطريقة أو السيرة، واصطلاحاً لها عدة تفسيرات، الأولى: هي اجابت الرسول -صلى الله عليه وسلم-، والثاني: الأعمال المسحوبة أو التي نابت وأغلها ولا يعاقب نازكها، والقصد هو هنا هي الطريقة المحمدية التي قال فيها -عليه الصلاة والسلام-: في بيان الطريقة الناجية: { من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي } .
الجماعة: أي: المجتمعون على الحق، ولو كانوا قليلا بالنسبة إلى غيرهم، ولو كثروا عداؤهم وحصومهم، هؤلاء هم أهل السنة. يقول ابن القيم -رحمه الله تعالى- في النونية انظر الكافية الشافية لابن القيم (الونية) ص 119 .
الأيام رافم (1328 . 1329 . 1330)، هذا وسادسٌ عشرها إجماعُ أهـ الحَقِّ أمتي شعبه البرضوان من كل صاحب سنة شهيدت له أهل الحديث وعسكر القرآن لا غيره بحالهم لهم ولو كانوا عديداً المشاء والعران فقد يوجد من يخالف في كثير من الأمانة، ولكن لا غيره بهم، وكما قال ابن مسعود -رضي الله عنه- " الجماعة ما وافق الحق وإن كنت وحدك، فإنك أنت الجماعة حينئذٍ " . ولهذا لم يفتقر هذه الفرقة كما افتقر أهل البدع، فأهل البدع كالجهمية متفرقون، واعتزلة متفرقون، وغيرهم لمن ليس على الحق متفرقون، أما أهل السنة والجماعة فهم دائماً مجتمعون حتى وإن حصل بينهم خلاف فإنه خلاف لا يؤثر ولا يضر؛ بل يغير بعضهم بعضاً حيث إنه خلاف لا بدليل، ولا يضل بعضهم بعضاً، فتتسع صيوره لهذا الخلاف، فأهل السنة والجماعة هم فأهل الذين اعتقدوا واعتقدوا على ما جاءهم عن الله وعن رسوله، وتقلوه بدون تردد، ولم يغيروا ولم يتبدلوا سنة من ذلك، ولم يتعدوا، ولم يخجلوا مرجعهم الأول والأخير هو العقل، بل جعلوا ما جاء في الكتاب والسنة وهو الحكم وهو المرجع وردوا ما خالفه، ويدخل في أهل السنة والجماعة: الصحابة، فإنهم أئمة أهل السنة والجماعة، فإنه لم يظهر فيهم ولا بينهم بدعة، ويدخل فيهم أيضاً: كل أتباعهم، وهم تعبدت الصحابة إلا من انحرف منهم، كالخوارج الذين قتلهم على رضي الله عنه، وهم كآب أهل النار لحديث عبد الله بن أبي أوفى -رضي الله عنه-، قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "الخوارج هم كآب النار"، أخرجه ابن ماجه برقم (173)، وأحمد في المسند (4/ 355)، والطيبري في التكميل (8/ 324)، وابن أبي عمير في السنة (2/ 438)، وانظر المشكاة للأمامي (3554)، والسنة لابن أبي عمير (904) و(905)، وكأقصدية مجوس هذه الأمة، والجهمية، وإن ذلك الوقت، ويدخل فيهم أيضاً: جل أتباع التابعين، فإن أتباع التابعين -عائلة- كلهم متمسك بالكتاب والسنة، وقد كانوا في القرن الثاني، وأقرت قليل منهم القرن الثالث، ويدخل فيهم أيضاً: الأئمة الأربعة: الإمام أبو حنيفة ومالك والشافعي وأحمد هؤلاء كلهم داخلون في مسمى أهل السنة والجماعة، بل هم أئمة السنة، ويدخل فيهم أيضاً الأئمة المتأخرين وهم، وهم علماء الأمة، الذين استنبطت كتبهم وبلغها المسلمون الفحول، كالإمام البخاري صاحب الصحيح، والإمام مسلم صاحب الصحيح، والإمام أبي داود صاحب السنن، والإمام الترمذي صاحب السنن، والإمام النسائي صاحب السنن، والإمام ابن ماجه صاحب السنن، وغيرهم كثير من أصحاب الكتب المعروفة، وتلاميذهم وشياخهم، كل هؤلاء من أهل السنة. ثم بعد ذلك في أكثر القرن الثالث وما بعده، حيث أصوات السنة وصوتت، وانتشرت البدع، وظهر المبتدعة، وراحت أسوأهم، فظهرت عقالة حنيفة وانتشرت في الظاهر، أما السلف فطربوا في الخوص في معانيها وقرءوها كما جاءت وأيقوا على ما هي عليه، فيقولون: الأئمة السلف أسلمت؛ حيث أتوا من تكلموا بل فوضوا علم ذلك إلى الله، وبخلف أعلم وأقبلها، حيث أتوا من العلم ما أزالوا به الشبهة وردوا على الحرافة والجواب عن ذلك بأن يقال: إن طريقة السلف أسلم وأعلم واحكم، فإن السلف ليس كما تطون أيها المتأخرون، فهم يفرقون الفاظاً حوَّاه ليس لها معاني، بل السلف يعرفونها ويعلمون معانيها، ويعتقدون بدلوها، إلا أنهم لا يشبهون الله بخلفه، ولا يعطون أسماء وصفاته، ولا يقولون: إن ظاهر هذه الأسماء والصفات كفر، وأنها تنقض التشبيه، بل يعرفون أنها دالة على صفات حنيفة، إلا أنها ليس كصفات المخلوق، بل هي صفات تليق بالخالق جل وعلا. فقد شبه هؤلاء المتأخرون السلف الصالحين الأماميين الذين قال الله فيهم: { وَهُمْ أَقْبُونَ لا يُتَّقُونَ الْكُفَّاءَ } { أَمَّا رَبٌّ } { وَهُوَ } لا تلاوة، والسلف ليسوا كذلك، بل عندهم معرفة وفهم وإدراك للحقائق؛ ولهذا فإنهم -رحمهم الله- فرءوا النصوص التي جاءت، وفهموا معناها، وسبغوا للناس أحسن بيان، ومن قرأ كتاب السلف وأئمة أهل السنة والجماعة عرف ذلك، وانصرت على ذلك ملتبس: أحدهما: الإمام أبو عمرو عبد الرحمن الأوزاعي وهو عالم جليل من أهل الشام ممن أدرك التابعين، يقول -رحمه الله- كما والتابعون متوافرون يقول بأن الله فوق عرشه، وتوسم ما جاءت به الآيات من السموات فهذا دليل على أن أئمة السلف يؤمنون بمدلول هذه الآيات من العلو والوقفة، وجوهاً، والثاني: الإمام أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك العالم الجليل من أهل حرسان -قال له: لماذا تعرف ربنا؟ فقال -رحمه الله- يعرفه إنه فوق سواته على عرشه، بأن من خلقه كما خلقه، ولا يقول كما تقول الجهمية، وهذا دليل آخر على أن السلف كانوا يؤمنون بمدلول هذه الآيات، وكذلك ما وقع من بعض الأئمة، لما أتى مستعد بل يزدق كان قد عرف بالزندقة، ثم أظهر التوبة -بعد ذلك- لما جاء به لبيسته، قال له: أشهد أن الله على عرشه، بأن من خلقه، فقال ذلك الزنديق: أشهد أن الله على عرشه، وأرى ما يأتي من خلفه، فقال: زدود إلى السجن، فإنه لم يبد، وأساء ذلك كثير، فمن بدأ عرف أن طريقة السلف أعلم واحكم، فإنهم يفرقون النصوص ويؤمنون بمعناها، إلا أنهم يتوسم عنها التحريف والتشبيه، أما الخلف الذين يرجعون إلىهم أعلم واحكم، فهؤلاء أهل الكلام الذين كثر في مسائل الصير لأظهرهم، أولئك المتكلمون الذين أجدوا أو يرتوا علم الكلام عن اليونان وعن الفلاسفة، وأجدوا عن أهل الكتاب وجوههم، ثم دسوا ذلك في الإسلام، ثم تعرفوا وأطالوا البحث في ذلك، فكانت يهانبهم الشك والحرية والاضطراب، ولهذا قال بعضهم: أكثر الناس شكا عند الموت أهل الكلام ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتوى الحموية الكبرى ص: 15، لأنه يموت أحدهم وهو على غير عقيدة، روي أن أحدهم دخل عليه بعض العامة وهو على فرائض الموت، فقال: إنك العامي؛ ما تعتقد؛ فقال: اعتقد أن الله ربى، وأنه على عرشه، وأنه باتن من خلقه، وأنه كذا وكذا. عند ذلك قال له ذلك المتكلم: هنيئاً لك، لكني والله ما أرى ما اعتقد؛ فأحد بكبر ويردد قوله: ما أرى ما اعتقد حتى عني عليه ومات وهو لا يدري ماذا يعتقد، ومثله ما نقل عن الحموي صاحب "الزوقات"، أنه قال: لقد حصدت البحر الحزم، وتركت أهل الإسلام وعقولهم، وخصت في الذي يهوس عنه، وأنا إن لم تدرنكس رحمة ربى فالويل لى، وما أنا ذا أموت على عقيدة أمي أوردته شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتوى الحموية الكبرى ص: 15، وفي رواية: وما أنا أموت على عقيدة عجائز يعتقد، ومثله ما نقل عن نيسابور؛ لأنه من أهل نيسابور في إيران ومظفر هو جامع الغزالي المشهور صاحب كتاب إحياء علوم الدين، هذا العالم كان في أول أمره مشتتاً بالفلسفة وعلم الكلام، حتى تمكّن ذلك العلم عنه، وفي أواخر حياته أراد التخلص منه فصعب عليه ذلك، عن أنه رد على الفلاسفة في كتاب مطبوع بعنوان (تهافت الفلاسفة)، ولكنه خاص في علم الفلسفة ففيه في قلبه سيرة من أثار تلك العلوم التي جاض فيها، ثم قدم فيما بعد على اشتغاله بتلك العلوم، وقد ذكرنا أنه -رحمه الله- مات، وصحیح البخاري علم صدره، وبرحو من الله تعالى أن يوبى عليه، ومثله أيضاً الفخر الرازي صاحب التفسير الكبير المشهور وله أيضاً كتاب في العقيدة اسمه "تأسيس القديس" الذي رد عليه شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب اسمه "نصي الإيسين"، فهذا العالم الكبير المشهور كان قد نحر وتفرغ في علم الكلام، ويحت فيه وجاضٍ بعمارة، حتى وقع فيما وقع فيه من قبله، فيقول: "لقد رأمت الطرق الكلامية، والماجج الفلسفية، فما رأيتها تروى غلبة، ولا تشقى علماً، ورأيت أقرب الطرق في طريقة القرآن، إقرأ في الآيات: { الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ الْمُنْتَهَى } [معه: 15] { كَلَّ شَرْبُهُ هَالِكٌ لاَ رَوْحَهُ } [القصص: 18] وإقرأ في الحديث: { أَسْمَنُ كَيْفَةً شَرِبَهُ وَقَوَّ الشَّبِيعَ الصَّبْرَ } [السنن: 111] { وَلاَ يَجْعَلُونَ بِهِ عِلْماً } [معه: 110] ومن جرب مثل جربتي عزوب مثل معرفتي * ثم قال: نهيباً إقدام العقول عقاباً وأكثر، شقى العاسمين حلالاً وأرواحنا في وحشة من صومئنا وعابكاً دنياباً أدى ووسال ولم يتسدد من بحثنا طول عمرنا سوى أن جمعنا فيه قبل وفالوا أوردته شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتوى الحموية الكبرى ص: 15، فعرفنا بذلك أن هؤلاء الذين يرجعون أن طريقة السلف أسلم، وطريقهم أعلم واحكم، أنهم هم أهل الجبره والتمسك، وأهل الرب والبر، والبردد، وطريقة السلف هي الجامعة للأصافي كلها، فهي الأسلم والأعلم والأكثر، والسلف -رحمهم الله- هم الذين ورثوا العلم، وورثوا العقائد الصحيحة عن الصحابة والتابعين، فكانت عقائدهم سليمة صافية كما كانت في الكتاب والسنة، وليس العجب ممن هلك بكف كلفه، وأما العجب ممن يتأ بما جفا عرفها بذلك في طريقه السلف في التمسك بالحقين، والسير على مهناجهم سواء في القول أو في العمل، ثم طريقهم بل شك في المتمتره، فإنك متى عرفت أهل السنة والجماعة، فإنك متى عرفت أهل الأربل ووطائفيهم، كان نتيجة هذه المعرفة هي إك تنعيم وتسير على طريقهم، ومتى عرفت القرآن حريمته، وأنه منزل من لدن حكيم حديد، كان نتيجة ذلك أنك تتلووه حق تلاوته، وتصدق ما جاء فيه من الأخبار السابقة والأخفة وأحكامه، وطريقة السلف هي المتمتره لسعادة الدارين، أما طريقة هؤلاء فإنها تصعب تصديقهم بالأمر العيسية، فيقبل أتباعهم بالقرآن والسنة، فيقبل أفعالهم وأمثالهم لأوامر الله؛ لأن الأعمال تعتمد على العقيدة، فإذا كانت العقيدة راسخة في القلوب، أو أنه ذلك في الجوارح، فعملت بطاعة الله، وبعض رأيت من بعض أهل بيحارهم بذلك، فإن ذلك يدل على ضعف عقيدته، وأنه ما عرف الله حق معرفته بآياته ومخلوقاته، ما عرف عظمته من بعضه، ما عرف الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى ومآله وخلائه وكبرياته وعظمته، ما عرف واعتقد أن الله نيب الطابع ويعذب العامصين، أو أنه عرف ذلك ولكنه لم يتحضره، وذلك لضعف عقيدته وانصع إيمانه، فعرفنا بذلك أهمية معرفة العقيدة الصحيحة السلفية عقيدة السلف الصالح، وأن أصحاب هذه العقيدة هم أهل السنة والجماعة، وهم الفرقة الناجية والطائفة المنصورة الغائزة بسعادة الدارين، الناجية من العذاب يوم القيامة، والمنصورة في الدنيا قبل الآخرة، سأل الله تعالى أن يجعلنا منهم، وأن يحشرنا في زميرهم، أنه ولي ذلك والقادر عليه.